

إسلام سياسي

المعركة الإخوانية الفاضحة والفرص السانحة

مبادرة سجناء الإخوان في مصر بين توبة التقيّة ومكابدة كي الاستشفاء

ترجم رسالة "العفو" التي وقع عليها شباب من عناصر جماعة الإخوان المسلمين القابعين في السجون المصرية والتي وجهت إلى السلطات المصرية وأفادوا فيها بأنهم مستعدون للتخلي عن السياسة، حدة الأزمة التنظيمية والهيكلية التي تمر بها الجماعة، ويتلخص هذا الاستنتاج الأخير في ما ورد على لسان القيادي التنظيمي الدولي إبراهيم منير الذي أجرى اتصالاً من مكتبه في لندن، مع قناة الجزيرة القطرية قال فيه حرفياً "نحن لا نساوم على ديننا وبعيدتنا، والباب مفتوح لمن يريد أن يكفر بالإخوان ليخرج من السجن، والجماعة ثابتة ولن تتراجع".

عبد الجليل الشرنوبلي
كاتب مصري

فجر 14 أغسطس الحالي كان يُشرق بعد ست سنوات من البُكاية التنظيمية المعاصرة "رابعة"، وبينما كانت مأكبة التنظيم الدولي تتحرك عبر أرجاء أوروبا الساخنة في تركيا ولندن وقطر وألمانيا والولايات المتحدة لإحياء ذكرى بكائيتهم كانت صفحات شباب التنظيم ممن عاينوا الحدث تزخر بشهادات جديدة عما كان في كواليس الفض والهروب القيادة ودور البناية الشهيرة تحت الإنشاء حينها، وكانت معروفة بعمارة "المنايفة"، نسبة إلى محافظة المنوفية بشمال القاهرة، في بداية القصف وإلقاء أسطوانات البوتاغاز على قوات الأمن.

لم تنته الشهادات بما حدث في رابعة، بل امتدت لتشمل ما تم من فعاليات تتعلق بإسقاط الدولة بالتزامن مع فض الاعتصام، وأشهرها أحداث رمسيس ومسجد الفتح بوسط القاهرة، والتي يتحمل مسؤوليتها القيادي صلاح سلطان، وأحداث محطة الرمل بالإسكندرية، ويتحمل مسؤوليتها القيادي مدحت الحداد.

هذه الشهادات التي خرجت من معاني الأحداث لم تات من فراغ التدوين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وإنما امتلكت جرأة الخروج من وعي أصحابها إلى العلن بعدما بات الاعتراف بمرارة الواقع أهون بكثير من الاستمرار في وهم العافية و"عودة الشرعية".

الاستغناء عن الرمزية

منذ نهاية يوم 14 أغسطس 2013 بدأ التنظيم الدولي مرحلة الاستغناء عن رمزية حضوره الرسمي المصري على خارطة العالم، بحضور علي مياشير للقيادة الدولية وكذا القيادة القطرية، واستبدلت القاهرة بلندن وإلى جوارها مراكز نقل حاضرة في كل من إسطنبول

بالتأكيد لم يفلح مشربو مساعده إبراهيم الإيباري في تخفيف حدة تكرار السؤال المصري الذي يواجه منير وكل قيادات تنظيم الإخوان القديمة، ماذا سيكون مصيرنا إذا انفرط عقد التنظيم وتناثرت حبات قواعده؟

غرفة عمليات رابعة
فجر يوم 14 أغسطس 2013، كانت الإنشاء المؤكدة لدى غرفة عمليات جمع رابعة العبودية تجزم بان السلطات حسنت قرارها بالفرض تراخيا أو بالقوة، وعبر وسطاء تنظيميين يلعبون دور ضباط الاتصال مع السلطات المصرية تم حسم المعلومات المتواترة، وكان قرار إدارة التخطيط بالتنظيم، أمانة لجنة التنمية الإدارية، ضرورة الفرض الفوري، ما استتبع أن تقلبت عليهم الإدارة العلنية للمنصة، وانتهتهم بالخيانة والعمالة وصولاً إلى القبض من الحكومة مقابل إصدار هذا القرار.

حينها كان صوت القيادي الإخوان صفوت حجازي عاليا وهو يقول لهم "انهبوا وقولوا للإخوان ذلك على المنصة وشوفوا ردهم"،

وحين تعالت الأصوات محذرة من حجج المداء التي ستراق كان تعليق مفتي الاعتصام صلاح سلطان "كلما زاد الدم زادت دوائر التعاطف والتأثر فلا يهنا النظام على الاستقرار".

بعدها مباشرة كان صوت حجازي وسلطان مودياً عبر مكبرات الصوت "يا عشاق الشهادة هذا هو وقتها"، قالها الاثنان وخرجا عبر الممرات الأمنة تاركين خلفهما مغرورين سيقوا إلى حتفهم مخذرين بخدر تنظيمي خالص عنوانه "الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسنى أمانينا".



تنكر الإخوان لشباب زج بهم في المحرقة

المسلمين داخل وخارج سجون وحدود مصر، أن يتحركوا بكل ما أوتوا من قوة تجاه حل لأزمته مع النظام في مصر، ولا يترددون في أخذ خطوة للوراء تحفظ لهم ما تبقى من بقايا جماعة وتحفظ عليهم القليل القليل، ممن تبقى من شبابهم، وأيضاً ليحفظوا لنا أعمارنا ومستقبلنا وحاضرنا، وما تبقى من كرامتنا وإنسانيتنا".

تطورت النقاشات في مناخ من التهديد والتخوين والإقصاء والحروب النفسية داخل السجون من قيادات التنظيم الرسمية، حتى انتهت إلى مبادرة أهم وقعها 1350 سجيناً، تصورها كبيراً جداً في المعتقلين قد وعوا الدرس، وأدركوا في ظلمات السجون ما لم يدركوه في شوارع وطنهم، وهم على أتم الاستعداد لمراجعة مواقفهم.

مواجهة سجناء التنظيم لموقف قيادات الإخوان
تمنحنا فرصاً سانحة لبناء مجتمع قائم يملك من قوة التسامح الواعي

وتابعوا "علمتهم المحنة قيمة حريتهم، وهم ياملون في فرصة جديدة يعملون فيها على الالتحام مجدداً بنسيج مجتمعاتهم، والتعايش بسلام تام مع أبناء وطنهم، وبلا تدخل في الشأن العام نهائياً، والمساعدة في بناء بلدهم بالقدر والشكل الذي يخدم مصالح الوطن العليا، بعيداً عن أي صراع فكري أو سياسي".

عند هذا الحد يبدأ دور كل معني بالمصير في أوطاننا، فالواقع أن الحضور التنظيمي وانتشار جرائيمه بات قضية تؤرق المصير العربي والإسلامي والإنساني، ما يعني تطوير أدوات المواجهة للإرهاب بما يتيح كل الفرص لاحتواء من طالته جرائمه، وهو جهد تلمزمه مسارات إعادة تأهيل إنساني ومعرفي ومهاري واجتماعي يعمل على إزالة عوارض الجرائم واحتجاث كل أثر لها في النفوس وتحصين الوعي لينهض إنسانياً في مواجهة تحديات البقاء.

إنه الجهد اللازم مع كل عائد إلى رحاب إنسانيته، فحقيقة التجارب التاريخية أثبتت أن كل جولات حروب التطرف وتنظيماته استحالت مخذراً مرحلياً لأنها لم تصنع مناخ استيعاب المصابين بجرائمه، ولعل مواجهة سجناء التنظيم الفاضحة لموقف قيادات الإخوان تمنحنا العديد من الفرص السانحة لبناء مجتمع قائم يملك من قوة التسامح الواعي، ما يؤهله للبلد في سبيل إنقاذ من يسعى للنجاة من جرائم عقائد ومناهج وأفكار تطرف تغذت على وعي أبنائنا حين غفلنا عن صيانتها.

حد التراضي اللغوي النابي مع الشاطر، حين أتكفر معرفته بالشباب المقبوض عليهم في الخلية المعروفة إعلامياً بـ"مجموعة خيرت الشاطر". مضت ست سنوات على صناعة لطيفة "رابعة"، أنتجت شرائح متعددة من المسجونين على نمة قضايا مختلفة، الأولى هي شريحة القيادة التنظيمية الرسمية والرمزية، والثانية هي شريحة المجموعات النوعية المسلحة بغض النظر عن المسمى الذي تعمل تحت لوائه، وكلاهما لا يتجاوز إعلان مراجعته لمواقفه حد التقيّة المرهولة لتجاوز حالة الاستضعاف.

استهدافها غرفة عمليات "رابعة"، حين قال قائلها "كلما زاد الدم زادت دوائر التعاطف والتأثر، فلا يهنا النظام على الاستقرار". هذا طيف عام متنوع فيه التنظيمي الذي أصابته جرثومة الفكرة فانسحق وفيه الحب الذي حرّكه عاطفته الدينية أو الوطنية أو حتى الشخصية تعاطفاً مع من راح ضحية أو أصيب، ومنهم من ساقته أقداره إلى ساحات مواجهات وراح مع حشود تفر وانتهى به المطاف في السجن.

هذه الشريحة الأخيرة هي السواد الأكبر الذي عاين كي السجن لعل جرائيم أفكار الإخوان، حتى صُدّ رسالته إلى قيادات الإخوان موصفاً الحال، "باتت العورات مكشوفة وسجن الشباب مع الشيوخ، وراى الرجل عوار أخيه، واحتدمت المشائل الصغيرة وكبرت، وبرزت الاختلافات الفكرية بين الشيوخ والشباب، حتى أن الشباب أصبح لا يرى من الشيوخ والقيادات سوى سجن داخل السجن، رأينا من القيادات داخل السجون العجب العجاب، شعارات كاذبة، ثبات مزيف، وادعاءات لا تمت للحقيقة ولا للواقع بصلة".

وإذا "تقمص للحتمل والصبر، وهم أول المتعبين وأشد المنهكين، والياس تمكن منهم كما تمكن منا، لكن هبهات للمكابرة أن تفسى منهم، فاصبحوا يخسرون يوماً بعد يوم من شعبيتهم وشبابهم ومحبهم، وباتت السجون التي كانت تطلق الجماعة عليها وصف معسكات إيمانية خسارة كبيرة للجماعة، تستهلك أفرادها وتُفني شبابها، وتقدهم الثقة فيهم".

نقاش يتسع

منذ بداية العام الجاري، ومجموعات واسعة من الشباب السجناء على ذم قضايا لها علاقة بالإخوان بدأوا حالات نقاش أخذت في الاتساع بحثاً عن مخرج، ووصلني عدد من الأوراق التي تحمل رسالة إلى متصدري مشهد إدارة التنظيم الإخواني، تقول "إننا نحن شباب المعتقلات إخواناً وغير إخوان، ندعو جميع قيادات جماعة الإخوان

اليوم كانت تقارير اللجان الحقوقية للإخوان تنشر خبر حبس الشاب لترفع به إحصاءات من تقول إنهم معقلون. وفي لقائنا بعدما برأته المحكمة قال "أول تجربة سجن كانت الصدمة في كل الشعارات التي كنا نسمعها وتردها، حينها قررت أني مهما طال بي البقاء في السجن، فبعد أن أخرج لن أعود إليه وقررت أن ارتاد المقاهي وأدخن ليعلم الناس أني خالص مش (ليس) من الإخوان".

زادت صدمته كثيراً عندما حدثته عن أوضاع القيادات في الخارج وفي السجن، وكانت صدمته أكبر عندما شاهد جلسات سمر شباب الإخوان في قطر وتركيا ولندن وما فيها من ملذات متنوعة.

في بداية ربيع 2012 كان آخر لقاء جمعني بالمهندس الزراعي الراحل محسن عبد القوي، الذي كان مؤسس البعث الإخواني الحديث في محافظة البحيرة عام 1971، وأول من باع الإخوان ودار مُجنّداً عناصر جديدة للتنظيم في ربوع المحافظة.

وفي هذا اللقاء كان الرجل يبوخ كالموجوع، وهو صاحب قلب عليل، ولتوه أعلن خروجه من تنظيم الإخوان، وقال "حين سافرت مع الإخوان إلى اليمن أوائل الثمانينات كنت مصدقاً تماماً وهناك كانت أولى صدماتي في القيادات على رأسها خيرت الشاطر ومحمود عزت ومحمد البحيري، وحينها عولت على أن العوار شخصي، لكن حين سجنّت معهم في قضية 1995 عسكرية أيقنت أن العوار منهجي في التنظيم"، مضيفا بزفرة حارة "السجن فاضح".

ورداً على سؤال، ما الذي أحرّ قرارك كل هذه الفترة؟ أجاب الرجل بمرارة "الإسواب يوماً مغلقة والسؤال الذي نواجه به أنفسنا إلى أين نذهب وكيف نستثمر طاقنا، كان هذا أيام الرئيس حسني مبارك، لكن بعد 2011 صار هناك أمل في أبواب توارب".

مواجهات والتحام

خلال الأعوام الستة الماضية شهدت السجون المصرية حالات من المواجهات التي وصلت حد الالتحام بين قيادات تنظيمية تابعة للإدارة الرسمية، وبين قيادات تنظيمية قاعدية وتطورت لتراشق الاتهامات وتبادل الدعوات بالهلاك والثبور، وربما أشهرها ما كان بين أحد القيادات الإخوانية البرلمانية الجماهيرية في جنوب القاهرة وبين عضو مكتب إداري جنوب، وهو وائل طلب، والمحسوب على القيادي خيرت الشاطر، وانتهت بنقل الأخير إلى عنبر آخر.

أما عن المواجهات بين القواعد الشابة التنظيمية والمتعاطفة، وبين قيادات التنظيم، فهو إجراء طبيعي يتم بصفة مستمرة، وأشهرها الوصول إلى

وانقراة والدوحة، فضلا عن مساحات حركة للقيادات الأولى والثانية والثالثة عبر أوروبا والولايات المتحدة. أوجدت هذه المسألة أجيالاً جديدة من القيادات التنظيمية التي تزايد حضورها التنظيمي ونجوميتها وفرواتها عبر تجارة الأزمة المصرية الإخوانية، ما يعني أن ظهور مؤشرات لانجلاء أزمة إخوان مصر يمثل تهديداً لبقاء الأجيال الجديدة، فضلا عن مصالحتها، ما يستلزم مثلا أن تبقى القوائم النهائية لمن لقاو حتفهم في "رابعة" مجهولة الحصر، بما يجعلها مشاعة لكل تكهن.

وكذا قوائم من يزعم التنظيم اختفاؤهم قسريا على يد السلطات المصرية الأمنية، ومثلها قوائم حصر السجناء عموماً أو من يروّج التنظيم لتعرضهن لحالات اغتصاب أثناء الاحتجاز. هذه الإحصاءات وغيرها من ملامح حالة الأزمة الإخوانية المصرية، كلما بقيت مجهولة تظل مادة قابلة للتضخيم والتأجور.

في أغسطس 2016 سطر عبد الكريم عبدالمقصود، أحد مواطني محافظة البحيرة في شمال غرب القاهرة، رسالة إلى كاتب هذه الأسطر باعتباره من نفس المحافظة، كانت تحوي نداء إنسانياً من أب طاعن في السن القى القبض على نجله الأكبر (محمد 27 سنة) أثناء وقفة احتجاجية للإخوان على أحد الطرق الفرعية الزراعية، ظل الابن حبساً على نمة قضية حتى أخلى سبيله بعد ستة أشهر، وخرج بعدها متخلياً عن كل علاقة له بالإخوان، عازماً على أن ينصب جهد حياته للسعي في ورشة النجارة التي يملكها.

دارت الأيام حتى القى القبض عليه مرة أخرى بعد وشاية بمشاركته في مظاهرة إخوانية، وكان كل أمل الأب أن يلقي ابنه المساعدة للنجاة من دفع فاتورة ذنب غادره وتساب. يقول الأب رقيق الحال حضر إلى المحامي الإخواني الذي يتولى أمر هذه القضايا وطمان قلب الأب مؤكداً أن التحريات تشير إلى براءته وأنه مجرد مثوله أمام القاضي سيتم الإفراج عنه لحين النطق بالحكم.

صباح يوم جلسة نظر القضية ذهب الأب العجوز وحضر الابن البريء فيما هرب المشاركون الفعليون في المظاهرة، ولم يحضر محامي الإخوان، وهو ما ترتب عليه أن قرر القاضي حبس الشاب لحين جلسة النطق بالحكم، وعصر نفس

